

محمود أحمد السيد

بقلم الدكتور علي هوار الطاهر

سُم العطالة وبدأ يفكر بالسفر ، واستقر رأيه على « الهند » فقد كان خاله حسين مدرسا للفارسية والعربية في الكلية العثمانية التابعة لنظام حيدر اباد - الدكن .

وقع سفره - في الراجح - عام ١٩١٨ - ١٩١٩ اذ سافر الى البصرة ومنها ركب الباخرة قبلغ بومبي ونزل عند السيد ابراهيم النقيب .

اقام في الهند « أشهراً » أو « حوالي السنة » ، وكان التناقض الطبقي أهم ما لفت نظره وأثار فكره ، وكانت في الهند طلائع حركات عمالية واضرابات اذ تعد نفسها للاستقلال والسيادة .

وحين عاد منها عام ١٩٢٠ وجد بغداد تغلي ، والخطباء والشعراء والكتاب يعدون للثورة على الإنكليز ، وكان جامع الحيدر خانة مركزاً للاجتماعات الجماهيرية والمظاهرات الوطنية . لبث محمود قليلاً ثم انتمى الى الحركة - وجهيل من رجل كان يرأسل جريدة « الأوقات » البصرية أن ينضم الى الثورة .

دعا في خطبه الى التآزر والتآزر ولكن لم يواصل ، وقد يكون لهذا أكثر من سبب واحد ، الا اننا - على أي حال - يجب ألا نلجح على « الوطنية » من هذا العهد من عمره كثيراً لأنه لم يكن قد استقر على شيء ، ولأن الأهواء والظروف كانت تتجاذبه ، ويكفي انه نشر في « الأوقات البصرية » اشياء ضد التيار ، وأنه نشر في جريدة احتلالية أخرى هي « الشرق » لصاحب امتيازها حسين أفنان .

كتب في « الشرق » كثيراً ، ولا يكاد يخلو عدد من مقالة له في أتدين أو الاخلاق أو المجتمع ... ولم يمس السياسة فيها في خيرها وشرها ، وكان يدل على ثقته بنفسه وعلى انه يرى أمره كبيراً وكلامه ذا اثر وأهمية . ونلاحظ في أسلوبه ثروة لغوية وعبرة عربية جيدة وحكمة للمقالة حسنة تكون بها وحدة عضوية ذات نفس غير طويل - ولم يسلم من خطأ بيّن في النحو والاملاء .

كان منصرفاً الى هذه المقالات ، والى القراءة ، فلقد بقي - بعد ان عاد من الهند - مدة من غير عمل . ثم توسط له عبد الرحمن الجلجوتي لدى آل السويدي وحصل له على وظيفة كاتب طابعة في وزارة الداخلية ، فباشر في ١ كانون الاول من سنة ١٩٢٠ براتب شهري قدره ١٥٠ روبية ، ثم رفع الى ١٦٠ روبية في ١ كانون الاول من سنة ١٩٢١ والى ١٧٠ روبية في ١ كانون الاول من سنة ١٩٢٢ . وصدرت جريدة « العراق » خلفاً لجريدة « العرب » في ١ حزيران ١٩٢٠ (١٣ رمضان ١٣٣٨) وهي انكليزية السياسة ولكنها تعرض لقضايا اجتماعية وأدبية . وكتب محمود أحمد فيها .

ومع ان محموداً لا يميل الى الصخب أو الى الاكثار من الاصدقاء ، كان له عدد قليل من الصحاب هم نموذج الشباب المثقف المستثير النشط ، فيهم عبد الله جدوع (صديقه القديم) وعونى بكر صدقي وسليم فتاح .

كان عونى تلميذاً في دار المعلمين الابتدائية ، وكان محمود يتردد عليه زائراً ، وفي احدى زوراته (عام ١٩٢٠) عرف مصطفى

في بغداد (١) ، في الدار الرقمة ٨٣ - ٢٢٣ من محلة « باب الشيخ » المقابلة لحضرة الشيخ (عبد القادر الكيلاني) نفسه ، اقامت أسرة دينية من الطبقة الوسطى ، انتقلت اليها من « عانة » وعرفت بآل المدرس بعد أن كانت تعرف هناك ب « بيت وريد » . وتضم الدار التي تسكنها الأسرة في بغداد ثلاثة قبور لها طابع القدسية .

وكان السيد أحمد بن السيد عبد الفتاح - أحد أفراد هذه الأسرة - مدرسا في جامع « الحيدر خانة » واماماً - فسي الوقت نفسه - لجامع الشيخ عبد القادر . وقد عرف بدمائة خلقه ... وقدرته - على الرغم من حسه الرقيق - على كبت غضبه ...

وفي ليلة الاثنين ٢٩ رجب من عام ١٣١٩ هـ ١٥ - ١١ - ١٩٠١ م تزوج السيد أحمد « عواشة » بنت الحاج مستان . وفي صبيحة يوم الثلاثاء ل ١٦ خلون من صفر ١٣٢١ الموافق ١٤ مارس ١٩٠٣ رزقا ولدهما البكر محمود (٢) .

نما محمود في هذه البيئة وفيها الكثير مما يترك آثاره العميقة في النفس المرهفة ، وكان مما فيها تناقض طبقي شديد . وكان السيد أحمد مدرسا طبيعياً لابنه في البيت ، وكانت مكتبته مكتبة طبيعية له ، وكما أفاد الابن من أبيه في البيت أفاد منه في جامع الحيدر خانة حيث يقعد للتدريس وحيث المكتبة ، وحيث يقعد السيد محمود شكري الألوسي .

وكانت في باب الشيخ مدرسة رسمية اسمها المدرسة السلطانية دخلها محمود في الصف الاول حوالي سنة ١٩١٠ وكان معه - فيمن معه - عبد الله جدوع و ابراهيم عبد الجبار القزاز . يتلقى التلاميذ الدروس باللغة التركية ، ويتمتع محمود بمنزلة مرموقة من التفوق (الثالث) . وقد بقي في المدرسة حتى عام ١٩١٦ - ١٩١٧ حين دخل الإنكليز بغداد فتعلت الدراسة .

وأستت في عهد الاحتلال الإنكليزي دورات ، منها دورة للهندسة تستغرق الدراسة فيها ستة أشهر ، كان التلميذ يتقاضى خلالها ٢٠ روبية في الشهر . دخل محمود الدورة الثانية منها فتخرج سنة ١٩١٨ وعين في ادارة الري في الهندية وذلك في عهد الحاكَم السياسي تيلر وكاتبه صيبسون زلخه ، وفي منطقة « الجورجية » برئاسة المهندس آغوب .

كان يتقاضى ١٢٠ روبية ، ولكنه استقال بعد ستة أشهر . ويبدو انه بقي من غير وظيفة أو عمل ، باحثاً عن ملء الفراغ بالقراءة والكتابة والتفكير بالحال السيئة التي عليها بلاده وبكل شيء .

(١) أهم مصادرنا في دراسه محمود أحمد ... أخوه عبد الرزاق ، وأصدقائه عبد الله جدوع ، ابراهيم القزاز ، حسين الرحال ، عوني بكر صدقي ، مصطفى علي ، جعفر الخليلي ، عبدالفتاح ابراهيم ، أنور شاذول ... وأضبارله الرسمية ، وأصدقائه في مصر (مثل زينب الحكيم) ... وجرائد العصر .. وصحف ومجلات وكتب تستثير الى المهم جداً منها في حينه .

(٢) عن قصاصة من مخلفات محمود نفسه . واختلف الآخرون في تاريخ الميلاد .

ويشرح من أغراضها ما يراه مفتقرا إلى الشرح ويوضح من مراميها ما يراه محتاجا إلى إيضاح ، ويروي ما أحدث فيها من تغيير أو تصحيح « (٧) .

لقد طلع محمود على الناس بقصة هي أطول من قصيرة ، وقد سماها رواية ، فقد ناهزت ال ٩٠ صفحة . وقد تكون أول قصة عراقية ، وإن مؤلفها استحقق بها - وبما وليها - لقب « رائد القصة العراقية الحديثة » (٨) .

ولا بد من النص على فضل السيد نعمان الأعظمي صاحب المكتبة العربية ببغداد ، إذ شجع محموداً ونشر له « الرواية » وطبعها بمصر (٩) على نفقته . وكان مناسباً جداً أن يقول حسين الرحال كلمة في تقديم الرواية . فيذكر - فيما يذكر - أهمية الفن الروائي وأسف لتخلف العراق في مضماره : « وقد سرتني وإسم الحق أن رأيت صديقي (السيد محمود آل المدرس) مع صفر سنه وحدائفة عهده وابتدائه بفن الكتابة مثابراً في الاشتغال حسب طاقته والاستعداد ... والامل وطيد بأن القراء الكرام يشجعون الكتاب ويحثونه على أن ينحو نحو العمل ، وأن يفضوا الطرف ولا يلتفتوا (كذا) إلى أسلوب الرواية ووضعها ونسبتها إلى الروايات العراقية وغير ذلك بل إلى الغاية التي وضعت من أجلها فقط ... » . والمقدمة وثيقة أدبية خطيرة في تاريخ نشأة القصة العراقية الحديثة .

ثم تبدأ القصة « في سبيل الزواج » واقف حوادثها في يومي ، وهي في هيكلها أقرب إلى الحكايات القديمة ، ولكن المؤلف حاول أن يرتفع عن مستوى الحكاية وحاول أن يروي للقارئ أشياء يمكن أن تقع ، ولم يترك الحادثة مجردة عن محيطها فوصف يومي وضفا جيداً معداً لأن يكون مدخلا ناجحاً لقصة حديثة (من قصص القرن التاسع عشر الأوروبي) . ولم يدع المغزى ، الذي كنا نراه قديماً ، على قدمه ، لأنه كان ينطلق من حاضره ويسعى لخدمة هذا الحاضر والنهوض بانسانه ، ولا بد من أنه كان مثابراً حفاً لما رأى في بغداد وفي الهند من أشراف ليسوا أشرافاً في حقيقتهم . وتلخص الخاتمة الجانب الأكبر من « الرواية » وتدل على أن المغزى الأول لها هو انصاف المرأة ودعوة الشرقيين إلى رفع الظلم عنها وإعادة حريتها إليها .

ان فيها كثيراً من أفكار الطبقة المستنيرة في العراق . صدرت « في سبيل الزواج » إلى الأسواق ، وكان من « خلق » السيد محمود آل المدرس الحديث عما يكتب والسعاية له (١٠) ، ومع هذا لم تجد السوق الرابحة لأن الكثرة الكاثرة لا تهتم بالرواية ولا تدري من يكون محمود أحمد . ولا نحتفظ بآراء معاصرة مسجلة عن الرواية (١١) ، ولم يكن

(٧) مصطفى علي .

(٨) ولا عبرة بمقدمات آلوسى التي حاول عبد القادر حسن أمين في كتابه « القصص في الأدب العراقي الحديث » أن يجعلها مسن المحاولات البدائية وما يوحى بأنها الظلمة (ص ٣٤ - ٣٦) ، ولا عبرة كذلك بالرواية « الإيقاظ » التي ألفها سليمان فيضي وطبعها في البصرة سنة ١٩١٩ لأنها ليست قصة ، أنها نصائح بوحكائيات وعظات أخلاقية في إطار من الحوار المسرحي البدائي جداً .

وقد قام الإجماع على أن محمود أحمد هو الرائد ... لو قد نعته بذلك خلوصي نفسه في بكل ما كتب وحتى في مقالة جريدة « الأريام » (٢٠ ك ١ سنة ١٩٦٢) بوتيمته الخليلي كذلك في كتابه ص ١٨٦ .

(٩) مصطفى علي - يذكر عبد القادر حسن أمين ٢٢٨ أنه طبعها في بغداد ، وتابعه محمد زبوسف نجم - فهارس ٢ -

(١٠) عوني ، عبد الله ، والأصدقاء الآخرون .

(١١) إنظر جريدة للعراق ، العدد ٢٧٠ ص ٣ ، سن ٢ ،

١١ آب ١٩٢٢ .

علي (وهو تلميذ في الدار) كما عرف رفائيل بطي (٣) . وفي هذه السنة نفسها عرف حسين الرحال (٤) في بيت أحد أصدقائه (موسى آلوسى) . وتوطدت الصلة بين محمود وحسين ثم عبد الله وعوني ، وكانوا يلتقون كثيراً ويتناقشون طويلاً ، وأكثر ما يقع اللقاء في غرفة لمحمود بجامعة الحيدر خانة أو في مقهى ناصر بالصالحية أو في الباب الشرقي .

وحسين الرحال حدث في تاريخ العراق ، درس في ألمانيا وكان قريباً جداً من الآراء الإصلاحية القائمة على أساس اقتصادي ، كان في ألمانيا إبان الحرب العالمية الأولى وشهد الثورات التي قامت بعد الهدنة ، وكان يجيد عدة لغات ... ثم عاد إلى العراق فأصبح نواة التف حولها مجموعة من الشباب تعدت نفسها طليعة التقدميين . أعجب محمود بحسين غاية الإعجاب وأصفى إلى آرائه طويلاً ، وكان يضيف إلى ذلك قراءات جادة لما تصدره المكتبات العربية في مصر وغيرها مما يتصل بالأفكار والآراء التجديدية والتحررية ، من ذلك ما نشره « المقتطف » لاسماعيل مظهر وغيره ، وآثار شبلي شميل ، وما نقله سلامة موسى من آراء برنارد شو وما كتب فيه نقولاً حداد . لقد كان يقرأ الكتب الثورية في نزعتها ونظرية دارون ومؤلفات قاسم أمين « وظهرت قوة الثقافة القديمة الكامنة في وجدانه الباطن كالحة تكافح طلائع الفكر الجديدة . وكانت الحركة خفيفة غامضة بينهما ، تغلب هذه تلك تارة ثم تغلب تلك هذه تارة وهي شاعرة بالضعف ، تتوقع الهزيمة بين حين وحين » (٥) .

ولا بد من أن يكون الصراع عنيفاً ، لأن القديم عميق في نشأته والجديد قوي هزاز ، والشاب يبحث عن الحقيقة وسبل تحقيق العدالة وانقاذ الشعب العربي والشعوب الشرقية من مصائبهما . لقد ظل على ذلك مدة لعلها سنتان .

وكان محمود - على الرغم من ادمانه المكتبة القديمة - من أوائل العراقيين الذين أكثروا من قراءة القصص ، ولا بد من أنه قرأها أول الأمر لأنه يقرأ كل شيء ، ولا شك في أنه قرأ كل القصص الواردة إلى العراق من مصر والشام مترجمة أو مؤلفة (٦) ، وأنه قرأ غير قليل باللغة التركية .

قدر محمود أحمد أهمية هذا النوع الأدبي وأحس بفراغ العراق منه ، ولعله أحس كذلك بأنه يستطيع أن يشق له فيه طريقاً وأن يجعل له فيه أسماً . وقد تكون لحسين الرحال يد في اهتمام محمود بمزاولة القصة باطرائه أياها - في الأقل . فقد عرف القرب وعرف مكانة القصة في أدبه ومجتمعه ونقل إلى صديقه أطرافاً من حديثها معلناً إعجابه وتقديره . وأنه - وقد رأى ما يتميز به صديقه محمود من مقدرة لغوية ومن طامح - لا بد من أن يكون قد دفعه إلى كتابة القصة .

خطا محمود خطوة عملية إذ قدم للعراق قصته « في سبيل الزواج » أول مارس من عام ١٩٢١ . وطبيعي أن يكون هذا التاريخ قد سبقته تواريخ استغرقها المؤلف في التفكير والتصميم واختيار الحادثة والتنبه للمغزى ثم في الكتابة و « التسويد والتبييض » . كانت تبدو في حديث محمود « مظاهر الجدة والقوة والعزم .. حين يتناول بالبحث أولى رواياته وبكر مؤلفاته .. التي كان هائماً بها أشد الهيام ، وكان لا ينفك متابعا مسودتها وقد كتبها بخط واضح جميل ولا ينفك يتحدث عنها وعن الدوافع والبواعث التي أوحتها إليه

(٣) ملحق « صدق الأهالي » ١٨ تشرين الثاني ١٩٥٠ .

(٤) وصف محمود أحمد بدء هذه المعرفة في كتابه « القلم

المكسور » ٢٠ - ٢٤ بتاريخ ١٥ ك ٢ سنة ١٩٢٠ .

(٥) ينظر لمحمود أحمد - جلال خالد ٤٨ ، الطلائع ٢٧ .

(٦) لمحمود حلمي صاحب المكتبة العصرية ببغداد فضل كبير

في استيراد هذه القصص وتيسير قراءتها ...

التفقد قد ولد . وإذا كان المؤلف معتزاً بآرائه داعياً له إبان صدوره وبعيد صدوره ، فإنه كف عن ذلك ، بل قال : أنها كانت على « هيئة مشوشة » وأن تلك الهيئة « سببت الانتقادات الكثيرة » (١٢) ثم قال : « نشرت قصة صغيرة في الدعوة إلى منح المرأة حريتها في اختيار الزوج الصالح ، وانتشرت النسخ المطبوعة رغم ركافة الأسلوب وتفكك الفصول » (١٣) .

ومع ان العراق لم يقم ويقدم « للابتكار » الجديد ، وان القصة لقيت ذمًا ، فإن المؤلف الشاب لم يفتر وإنما أصر ، ولا أدل على إصراره من كتابته « مصير الضعفاء » (رواية غرامية اجتماعية عراقية) - طبعت بنفقة المكتبة العصرية ببغداد بمطبعة الاعتماد بمصر سنة ١٣٤٠ هـ - ١٩٢٢ م وأهداها صاحبها « إلى الحر الأبى حسين بك الرجال » وكتب مقدمة جاء فيها : « طالما كانت تسوقني نفسي لكتابة الروايات ولكنني كنت أتردد وأحجم لما في الأمر من صعوبة .. وهذه ثاني رواياتي أخرجها لبني وطني العراقيين ولعلها خيسر من الأولى » .

نقرأ « مصير الضعفاء » فنرى فيها آثار الحكاية واثق قصص المفامرات . ان المؤلف ما زال ميتدنا يخلق المصادفات ويلجأ إلى الخوارق ليصل بين أجزاء قصته المتباعدة ، ويتدخل تدخلًا صريحًا كأنه خطيب أو حكيم أو أحد الشخص .

ولكنه مع هذا - وغيره - تقدم قليلا واستطاع أن يخرج - قدر الامكان - من جو الحكاية بمحاولات من الواقع ، فاتخذ مسرح الحوادث العراق (بغداد) ووصف لنا جانبًا من الحياة الاجتماعية اليومية فيها مما يمكن أن يكون مادة حية ينتفع بها المؤرخ الذي يؤرخ لنشأة العراق الحديث زيادة إلى أنه من عناصر القصة الحديثة التي تنزل الحادثة إلى الأرض .

وقد وفر المؤلف الناشئ عناصر أخرى منها الحوار والنولوج . ان الفكرة الأساسية للقصة : ان مصير الضعفاء السجن والقتل لغير سبب أو جريمة ، أنهم يؤذون وهم أصحاب الحق . ان المؤلف يشعر أن له رسالة في الحياة تتلخص في نصرمة المظلومين ، وهو متفائل من المستقبل ويسرى ان التاريخ يسير في صالح « السواد العظيم » : ستأتي أيام ، وتحدث أمور .. » .

صدرت « مصير الضعفاء » إلى الأسواق ولجأ المؤلف إلى الاعلان عنها (١٤) ، وتحدثت عنها الصحف فقالت « العراق » : « الرواية جديرة بالمطالعة .. فنشني على كاتبها النشاط .. وقالت « الزنبقة » : « .. ألفينا ذات مرام سامية ونتائج حسنة جدا فيها صاحبها حذو الفريين في رواياتهم ، وتكسلم فيها عن روح الاجتماع العراقي في زمن حلوئها .. » (١٥) .

وقال المؤلف - فيما بعد - عن نفسه : « نشر قصة .. فيما حسبه أصلاحا للمجتمع ونقدًا لنقائضه وعيوبه » ثم زاد ما قاله عن قصته الأولى : « وانتشرت النسخ المطبوعة .. رغم ركافة الأسلوب وتفكك الفصول » (١٦) .

وعلى الرغم مما رأى محمود أمامه من العوائق والحوائل في كتابته، اردفها بعدة « روايات صغيرة » ضم ثمان منها في كتابه الثالث « النكبات » - القاهرة ، مطبعة المعاهد ، ١٩٢٢ - ١٣٤٠ بنفقة والتزام محمود حلمي صاحب المكتبة العصرية ببغداد . وكان المؤلف يطعم ان تظهر « النكبات » برواياتها وموادها التي وضعها لها كلها ولكن الظروف

القاسية حالت دون ذلك (١٧) . أما القصص الثماني فهي : أبطال الخمرة ، بين سكان القبور ، الصعود الهائل ، في سبيل الزواج ، سطران من حكاية ، قصة الضعيف ، ناصح القوم ، صحيفة سوداء . « في سبيل الزواج » الواردة هنا تلخيص لكتابه الأول اراد به إلى تلخيص القصة من « سبب الانتقادات الكثيرة » فلم يستطع ، كأنه لم يد ان القصة القصيرة ليست ملخصًا لطويلة .

ونقرأ القصص السبع الباقية فنرى في القصة القصيرة (بل فن القصة) في مولده ، فما زال في أول نشأته ، يزحف وحليب « الوجدانية » يسيل من فمه ، ولكنه يزحف على الأرض بين مجتمع من الناس وفي أطار واقع المؤلف ولم يعد في عالم الجن ونديا بنسات السلاطين .

وللمؤلف هدف واضح صريح : دعوة بني قومه إلى نبذ الرذائل من خمر وكسل وجمود وتقليد غير صائب .. وقد غلبت صفة التشاؤم عليه فلم نرى فيه غير شاب يائس فانتظ يشعر غربة في قومه ويحس بأنه خائب مضطهد . وقد يعزى ذلك إلى ما عليه الوطن من تأخر إلا ان الأولى فيه ان يكون حالة من حالات « الكتابة » التي تصيب بعض النفوس المرهفة جدا والاعصاب التي تحس بالارهاق لاقبل شيء ولادنى مناسبة . وإذا كان محمود قد ساق كلامه على لسان « أبطال » « رواياته » فإن فنه لم يكن من القوة والدهاء بحيث يخدع القارئ . اننا نعلم جيدا ان طابع السواد الذي نراه في قصصه ، كان طابعه في الحياة ، في حياته اليومية ، في صحبه ومسائه ، في البيت والقهى . لقد رواه لنا اصدقاءه الحميمون وعارفوه ومعاصروه ورووا للآزمة التي استحكمت من لسانه فظل يردد في مناسبة وفي غير مناسبة : « اكسر القلم ، وارم من يدك القرطاس السود ، ثم تمرد ، تمرد ، تمرد ، فانت لا زلت في هذا المحيط ، باق بين اهل هذا المحيط » (١٨) .

ويتركز السواد فيدعوه رفاقه إلى افكار بناءة عملية مجدبة تخدم الوطن والانسان فلا يستجيب (١٩) . لقد فاض « الحزن » وقد رأيناه على صفحات النكبات ورآه اصدقاءه عليها وعلى سيماءه ولباسه ومعاشه .. كما فاض على لسانه .

ينتهي الكتاب . ويخبرنا المؤلف في اعلان للجمهور : « ان الظروف القاسية قد حالت دون اظهار النكبات برواياتها وموادها التي وضعناها لها كلها ، واملنا ان نتمكن من ذلك في المستقبل القريب اذ تخرجها بين دفني مجلد كبير - ان شاء الله » .

ولم يشأ الله أن يخرج المجلد الكبير ، ولو خرج ، لما كان - على أكبر الظن - مختلفا روحا عن النكبات وفن ادارة « رواياتها » - ولعل النكبات المطبوعة خير ما يمثل المجلد الكبير .

صدر عوض المجلد العتيق كتاب آخر . ولم يصدر هذا الكتاب الجديد على النهج القصصي وانما جاء على نهج آخر ، مبتكر في بابيه وفي « بلاده » ، هو نهج الرسائل المتبادلة بين المؤلف وصديق له حميم من أعز اصدقائه ومن اشدهم صلة به .

ترينا هذه الرسائل مدى سيطرة « السواد » على كيان محمود وفي كل ما يورد ويصدر ، وترينا الجهد الذي يبذله ، الصحاب للتخفيف عنه والعمل على انقاذه والجد في اعادته إلى الطمأنينة والتفاؤل والثقة بالانسان ، ثم ترينا ضروبا ذات بال من ثقافة العصر وعقل الطبقة المستنيرة - وهي امر جدير بالاعجاب والاكبار .

هذا الكتاب الجديد هو : « السهام المتقابلة بقلم السيد محمود

١٧ - محمود احمد - النكبات « الصفحة الاخيرة » . عدد

الدكتور داود سلوم - تطور الفكرة بالاسلوب ٢٠٨ . كتب محمود احمد وذكر قبل النكبات : « التمساء » . ولا نعلم ان له كتابا بهذا الاسم ، يوجد باللويب - مختارات ص ٢٥ بين كتب محمود الاولى : « التماس » . ولم يصل إلى علمنا شيء من هذا .

١٨ - محمود - النكبات ٤٩ .

١٩ - حسين الرجال .

(١٢) محمود احمد - النكبات ، ص ٣٣ .

(١٣) محمود احمد - جلال خالد ٤٨ ، الطلائع ٢٧ .

(١٤) تنظر جريدة « العراق » ، العدد ٥٥٥ .

(١٥) « العراق » ، العدد ٥٥٥ ، الزنبقة ٥ ، وتنظير

« الاستقلال » ٥٤ ، اللويب - مختارات ص ١٥٥ .

(١٦) محمود احمد - جلال خالد ٤٨ ، الطلائع ٢٧ .

أحمد البغدادي مؤلف مصير الضعفاء وعوني بكر صدقي مدرس بالمدرسة
الحيدرية في بغداد . (٢٠)

بعد الإهداء ومقدمة ذات دلالة في تاريخ الفكر العراقي يجري
الكتاب بأسلوب شائق من مناهج الإنشاء ، هو مناقشة آراء مهمة في
المجتمع والإنسان والكون والسياسة (٢١) عن طريق الرسائل المتبادلة
بين شابين فيورين يقف كل منهما على طرف - رغم ما بينهما من أواصر
الصداقة والمحبة والأخاء - ويمثل محمود أحمد الطرف المشائم الى
أقصى الحدود .

ولا شك في ان مناقشات عوني بكر صدقي كانت استمرارا لسعيد
وسمي الأصدقاء الآخرين في التخفيف عما يتفلسف اعصاب محمود :
« ... مهلا مهلا ايها الاخ . لا تتطرف بأفكارك ولا تنفرد بمبادئك ، فاننا
اليوم احوج الى اتفاق الكلمة وتوحيد المساعي .. لكي تكون لنا يسد
فعالة في التطور التاريخي العظيم » (٢٢) .

ولم تجد المحاولات ، حتى ان السيد محمود فكر بالخلاص عن
طريق الانتحار . وبذل الأصدقاء أقصى الجهد في صده .. وقاربوا ان
ينجحوا .

وتبدو آثار النجاح في الكتاب الرابع ، او بمعنى أدق في الشروع
المبتكر ذي الدلالة على أجد في الحياة والتغافل بالمصير والشعور
باهمية رسالة الانسان نحو الانسان ، ومسؤوليته في النقد والبناء
والتوجيه والتجديد ، ذلك المشروع مما سماه « مكتبة الشبيبة »
« ... بقية الحث على اصلاح ما انحط وفسد وتحسين ما ساء وتقويم
ما اعوج » .

« ومكتبة الشبيبة » هذه مشروع يصدر محمود بمقتضاه كرايس
صغيرة تنطوي على كلمات قصار أشبه بالذكريات ذات نهج قصصي وهدف
ايقاظي يستمد مادتها مما يرى ويسمع . عنوان الحلقة الأولى « هياكل
الجهل » (٢٣) وهو عنوان جميل وعنيف ويدل المحتوى على عقل أكبر من
عقل مناظر لمثل سن المؤلف وأدب أرقى من أدب شاب في عمره . ويضم
الكراس - فيما يضم - « السيدة » - « رواية تمثيلية حقيقية
(ريتالست) في فصل واحد » تبيين سخف عقلية السيدة
« الارستقراطية » اذ تستخف بالخادم الفقيرة .

وبعد (٢٦) صفحة تنتهي هياكل الجهل ويمتلئ على غلافه الأخير
عن حلقات أخرى : « ستظهر قريبا : (٢) القلم المكسور (٣) الصحيفة
السوداء (٤) زهراء » .

ونوهت به جريدة العراق في باب « ثمرات الطابع » : « .. هياكل
الجهل .. يتضمن نقد بعض النقائص التي يراها الرائي في المجتمع
العراقي . ولقد رأينا الكاتب والحق يقال تدرج في مرقاة الكتابة فمتنت
عبارة وحسن أسلوبه ، فنسال له اطراد النجاح » (٢٤) .

ثم صدرت الحلقة الثانية : القلم المكسور (٢٥) ومن آرائه فيه :
« العمال عليهم قوام الحياة ، والكسالى والمتقاعدون هم الجرائم التي

٢٠ - طبع بالقاهرة ، المطبعة الرحمانية ١٣٤١ - ١٩٢٢ على نفقة
المؤلفين .

٢١ - قالت مجلة الهلال في الجزء العاشر ميسر السبنة ال ٣١ :
« السهام المتقابلة ... تتم على نزوع كاتبها الى الاصلاح والتجديد في
اسلوب متين » .

٢٢ - السهام ٢٢ .

٢٣ - طبع بمطبعة دار السلام ببغداد . وقد عد الدكتور يوسف
نجم - فهارس الأدب العربي الحديث ٢ : ٣٠ مكتبة الشهاب من الاقاصيص
وما هي كذلك . وعد الكشاف منها وليس الكشاف قصصا ولم يكن من
مؤلفات محمود أحمد السيد ، انه تأليف عوني بكر صدقي .

٢٤ - جريدة « العراق » ، العدد ٨٩٤ . وقالت الهلال في الجزء
التاسع من مجلدها ال ٣١ « .. سيكها في اسلوب حسن » .

٢٥ - مطبعة دار السلام ببغداد . كتبت عنه جريدة « العراق » في
مددها ٩١٣ .

يجب ان تباد) ، ومنها : « يجب ان ينجح فينبغ فينبغ كتاب في العلم
والاجتماع قبل الشعر والخيال ، ويجب ان يقرأ الشعب كتب الحقائق
العلمية قبل السفسطات والخيالات » . وهو بهذا إنما يهاجم الشعر
الذي يقوم على المدح والرتاء او على تقليد القدماء ، ويدعو الى الشعر
الحقيقي الذي يخدم النهضة .

ينتهي الكتاب بصفحاته ال ٢٤ ، ونقرأ - فيما نقرأ - على الغلاف:
« ... سنستمر على نشر ما سنكتبه ... باجزاء كثيرة ربما بلغت
العشرين عددا دون الالتفات الى الرواج وكثرة القارئ او قلة ، فلنسا
اناسا يتاجرون في (بضاعة) او يساومون بالضمائر ، او يتلاعبون
بالرؤوس . انما نحن اصحاب مبدأ جليل - جليل كما نعتقده
وكفى » (٢٦) .

ولكن « الحماسة » من ابرز ما يميز الرجل وانها ما اسرع ما
تخمد فاذا الاجزاء التي تبلغ العشرين تقف حيث بدأت ، ولم تصدر
الصحيفة السوداء ولا زهراء ولا ما سواهما .

ومن يدري ، فلعله اضرب عن عزمه ولم ير في مكتبته ما يحقق
بغيته . وها هو ذا يكتب في رسالة موجهة بتاريخ ١٢ - ١٢ - ١٩٢٢ :
« ... لم أهد اليك الكتيبين الاولين الصادرين من « مكتبة
الشبيبة » ... باعتبار انهما من المؤلفات ذات القيمة الادبية . وما هما
في الحقيقة الا مجموعتنا صحف - عادية - كنت ارجو الفائدة العامة من
نشرهما وما يتلوهما من حلقات السلسلة او المكتبة هذه ، لولا ان الرجاء
قد خاب - ويا للأسف - لاسباب لا محل لذكرها الآن » (٢٧) .

وكتب مرة اخرى الى السيدة كلثوم عودة فاسيليفا وهو يبعث

٢٦ - يذكر الخليلي - لاقصة العراقية ١٩٥ في موضوع مؤلفاته
المطبوعة : « مكتبة الشبيبة ومن بعض سلسلتها كان (هياكل الجهل ،
والقلم المكسور ، والصحيفة السوداء وزهراء) وتبعها بمسند ذلك
(الكشاف) ... ونحن نخشى ان يكون الخليلي قد اعتمد في ذلك
الاعلان الذي اشرنا اليه . اما الكشاف فليس من مؤلفات محمود احمد .
٢٧ - جريدة الصحيفة ، العدد الثالث .

بعد النجاح العظيم الذي لقيه قاموس « المورد »

تفخر دار العلم للملايين بأن تقدم الى الطلاب ومدرسي
اللغة الانكليزية في المدارس الابتدائية والتكميلية :

المورد القريب

قاموس جيب إنكليزي - عَرَبِي

تأليف
مِنْ البَغْدَادِيِّ

٣ ليرات فقط

٤٦٤ صفحة

اليها بنسخة من القلم المكسور : « سيدتي ... في هذه الرسائل آراء وأفكار غير ناضجة واني لا اقول بها الآن .. » (٢٨)
ان انكار محمود احمد آراء المكتبة امر لا داعي اليه ، لانه ان كان توأما فهو أكثر من اللازم ، ويكفي ان الخطوط العامة لها بقيت سائدة في تفكيره - مع تطور بالطبع .

كان محمود وهو يعد للقلم المكسور وما انبه يكتب بين الحين والحين مقالات في موضوعات اجتماعية وفكرية . وبعد أن صدرت « اليقين (٢٩) » - كتب فيها دون ان يناقض مزاجه . وبرزت في مقالانه صفة جديدة هي ان يكتب المقال مشتركا مع صديقه حسين الرحال ، ولا بد من ان يكون من اسباب هذه المشاركة التكامل الذي تقتضيه طبيعة الموضوع ، الموضوع الذي يستدعي معرفة اللغة الفرنسية النسبي لتوافر لحسين والتمكن من اساليب العربية الذي يتميز به محمود .

وكتب محمود - واليقين تواصل الصدور - في جريدة «العاصمة» لسان حزب النهضة الانكليزي الهوى (٣٠) عدة مقالات لا صلة لها بسياسة الجريدة ، منها افتتاحية عن « ادبنا المصري » وقد ظهر فيه بمظهر الكاتب الادبي الناقد ألموجه الثائر على الجامدين الداعي الى التجديد (٣١) . وفي هذه الجريدة نشر احتجاجه على الذين اعتدوا بالضرب في الشوارع على الاديب الجريء لبراهيم صالح شكر .

ولم تكن « العاصمة » لتستهلك كل نشاطه فقد كان ينشر هنا وهناك ، ويخص « العراق » بين الحين والحين ، ومما خصها به سلسلة عنوانها : « هيكل الماضي على مسرح الحياة » ومدارها كشف اضرار مخلفات العهد الماضي في الحياة العقلية والفكرية الحاضرة ، ومن تلك المخلفات العناية الزائدة بكتب الغرام والخيال ، والانصراف عن الآثار التي تمثل الفكر الراقى والعقل المجدد . وفي عنوان الايمان بهذه الفكرة تذكر انه ألف « يوما ما » روايات غرامية فصاح نادما : « آه . ليت الظروف كانت تفهم ، فتكسر يدي قبل ان اكتب تلك الروايات الغرامية الفاسدة الثلاث ... التي أعدها طخعة عار في حياتي وحياة الادب » (٣٢) .

٢٨ - احتفظ بهذه النسخة الهداة الى السيدة كلثوم عودة .
ولم يذيل محمود احمد كلامه بتاريخ .
٢٩ - مجلة انشأها السيد محمد الهاشمي بوطابعها ديني ، صدر العدد الاول منها في ١٦ نيسان ١٩٢٢ .
٣٠ - ينظر بطي - الصحافة العراقية ٨٨ -
٣١ - العاصمة ، العدد ١٨٩ .
٣٢ - ينظر محمود احمد - الطلائع ٣٠ .

ويبدو انه نسي - وهو في أوج حماسه - ان رواياته لسم تكن غرامية بالمعنى الفاسد ، لانه لم يؤلفها بقصد اثاره الشهوات وانما ألفها من اجل معنى اجتماعي فيه انصاف المرأة وانصاف الضعفاء .

انه واصحابه يبحثون الآن عن خير السبل لنشر الافكار التجديدية ومحاربة العادات والآراء العتيقة التي لا تليق بالانسان وبالوطن العراقي ، وطبيعي ان تكون الصحافة من أول ما يتبادر الى الذهن ويقدر العزم على تحقيقه . وبينما هو وهم في عنفوان الاستعداد ليجاد وسيلة النشر (٣٣) اذ ينقل من وظيفته في بغداد الى الديوانية في تشريش الثاني ١٩٢٣ مديراً لتحريرات اللواء وكان راتبه (٢٠٠) روبية (٣٤) .

أطلعت الديوانية على امور جديدة من شؤون بلاده وارته عوامل جديدة من عوامل التأخر ورأى الفلاح وجها لوجه واحسن بما يعاني وما يجرحه اياه النظام الجائر ، وما يسببه الجهل الشديد . « وكان منصرفا في وحدته ، في بيته ، الى مطالعة الكتب الادبية المصرية ، محاولا درس « الفكرة المصرية » في هذه السنين ، سني طلائع النهضة : محاولا تفهم « نفسية » الاديب المصري الحديث الطلق قائدها وحامل رايها فسي ميدان السياسة ، حيث الحق المهان والقوة الاستعمارية الظالة فسي نضالهما القاسي الشديد .

وكان .. خياليا طموحا الى تحقيق مثل « عيسا » بعيدة عن رؤوس المواطنين . كان يعتقد انه اشتراكي وان لم يكن قارئاً ممن كتب الاشتراكية اكثر من كتابين اثنين ورسالة صغيرة ... وكان قبل سنتين قوماً من الغلاة في كره الشعوب الاخرى غير الشعب العربي ، فاذا هو الآن من الغلاة في حب مذهب الجديد « (٣٥) .

ولهذا كان امر الصحيفة التي عزم هو واصحابه على نشرها ادبية اجتماعية ، مما يشغل باله ، وكان الاصدقاء في بغداد يبذلون الجهد ليجاد وسيلة للتعبير : مجلة . وفر قرارهم (حسين الرحال ومصطفى علي ...) على أبسط الاسماء فسموها : « الصحيفة (٣٦) » ، واتخذوا لها ادارة في غرفة استأجروها في شارع الرشيد لم تلبث ان اصيحت ندوة للادب والفكر الحر في القضاء على الفساد عن طريق الآراء القائمة على الاساس الاقتصادي (٣٧) .

صدر العدد الاول في ٢٨ من كانون الاول ١٩٢٤ وهي عقائدية تجديدية تمدو الى السفور وتناقش بالمنطق العلمي الهادي نكاة الحجاب، وتحارب الاقطاع والاستغلال ، وتؤمن بتطور التاريخ نحو الديمقراطية وصالح الشعب ، وتعني عناية خاصة بنظرية التطور وتسخر من العروق الممتازة وتعارض الرجعية ..

كتب محمود احمد في الصحيفة ، ولكنه اقتصر على ميادين الادب والاجتماع محاذرا ان يمس القضايا الآتية مسا مباشرا . ومما نشره : « قصة البعث التولستوي » . ولا يعني ذلك العودة الى القصة ، وانما يعني اهتمامه بالقضايا الاجتماعية ، فلقد نظر الى هذه القصة من هذه الزاوية ، ورأى في الحديث « تنفيسا » لما يريد ان يقول من نقد اوضاعنا : « لا شفا مني بالقصص ، ولا حبا بكتابة القصص ، ولا افتنانا بفن القصص المعروف . فهذه مسالك كنت قد عدلت عنها الى غيرها ، ويعلم الناس ذلك .. » (٣٨)

وكان نشاط محمود اوسع من « الصحيفة » فنشر في « الفضيلة »

٣٣ - ينظر محمود احمد في الصحيفة ، العدد الثاني .
٣٤ - الاضبارة - وسيرتفع في حزيران ١٩٢٤ الى ٢٤٥ روبية .
٣٥ - محمود احمد - الطلائع ٣١ - ٣٢ -
٣٦ - عوني .
٣٧ - وكان يرسم حيدر - كما يروي عوني - اول من شتمهم باللدي هم عليه من اتجاه .
٣٨ - الصحيفة ، العدد الثالث . الكلمة مذيالة بتاريخ ١٥ - ١٩٢٥ .

قريبا

دار الآداب تقدم

عددا من مجموعات الشعر الجديد

الجوع والقمر

للشاعر محمد عفيفي مطر

حديقة الشتاء

للشاعر محمد ابراهيم ابو سنة

نخلة الله

للشاعر حسب الشيخ جعفر

و « العراق » و « الاستقلال » كان لم يكن في الديوانية بعيدا عن جو بغداد وكان الديوانية لم تكن مرحلة فاصلة . ولهذا ، فلم يكن من المستغرب أن يواصل خط سيره عندما عاد الى بغداد في (١١) ايلول من سنة ١٩٢٦ (٣٩) في « الفضيلة » و « الاستقلال » . . . وغيرهما . وصدرت في بغداد مجلة « المرص » فكان من كتابها ويدل ما نشره فيها على انه يبحث في الآداب غير العربية عما يتفق وآراءه ، او بمعنى أدق ما لا يستطيع الجهر به علنا ومباشرة ، فقد نشر مثلا مقالة بعنوان : « صور من أدب الريالزم » : كتب أدولف سوليجوسكي الأستاذ في جامعة وارشو عن الحالة الاجتماعية في روسيا ، على عهد القيصرية فقال « . . . لقد كان الفلاح عبدا بالمعنى الصحيح ، يعامل معاملة الحيوان والجماد . . . ولم يكن ثمة نظام يحميه » . (٤٠)

وكتب محمود احمد يقول : « انك لتجد في . . . ادب الريالزم لقطابه الثلاثة الاعلام : تورغنيف ودوستوفسكي وتولستوي صورا واضحة كثيرة للحياة التي كان يحيها الفلاح الروسي . . . والثالث أشد صاحبيه عناية بتصوير حياة الفلاح في مؤلفاته كلها خاصة منها « مأساة البعث » .

انا الآن أمام الفصلين الاول والثاني من الجزء الثاني من هذه المأساة . . . انهما يحويان صورا من حياة الفلاح نحن اجدر من غيرنا بالاطلاع عليها . فحياة الفلاح عندنا تماثلها او تكاد . وواجب علينا أن نتخذها وما اليها من صور أدب الريالزم الروسي نماذج للادب الشعبي الجديد الذي نرجو أن يتكون - عندنا - في المستقبل القريب » . (٤١) واكثر من النشر في جريدة « الاستقلال » مؤكدا وجهة نظره في

الاصلاح مقتنصا حالات التخخر التي تعانيها البلاد وقد دل - الى ذلك - على انه كان ملما بما يجري في العالم مستفيدا من احداث الآخري وافوالهم بما ينفع ويوقف ، وكان يكتب في كل شيء ضمن اطاره العام ، ولم يستطع - على هذا - أن ينفي ذكر الاتمة نفيًا مطلقًا لان منها ما يقع داخل هذا الاطار بل ان في مناهجها ما يتصل اتصالًا وثيقًا بعوامل النهضة : « نزعة من نزعات الادب القصصي التركي : هدم التقاليد البالية وحرب على المحافظين . . . اني أرى من واجب الادباء عندنا تمهيدا لادخال القصة والافصوصة في أدبنا - ان يعرضوا علينا بواسطة النقل او التلخيص والتحليل نماذج مما شاع وانتشر في الآداب أخصها آداب الشرقية من روسية ويابانية وصينية وتركية فانها تتفق واذواقنا ولا تكون بعيدة عن نفسياتنا كالقصص والافاصيص الافرنجية التي اسرف في نقلها الى ادبنا كتاب لا يفقهون » (٤٢) .

وكان وهو يدعو الى هذا ، اول من نفذ الدعوة بل انه نفذها قبل ان يعلنها فلقد لخص ونقل وحلل . ويجري عمله في تيار واحد : الإيقاظ والإنهاض فيما يجده القارئ من قصص شرقي . ولم يكن عدوا للقصص الغربي وانما كان يعادي منه ما ينقله معاصره في مصر وسوريا من آثار الخلاعة والفرام والعبث ، ولا ادل على ذلك من انه نفسه لخص قصصا غربيا يقع في الطريق التي يسير فيها ويتضمن الافكار التي يدين بها مثل قصة موباسان : « بول دي سوف » (٤٣) . وهو إذ ابتعد عن مزاوله القصة ونم على ما كتب من قصص غرامي بدأ يقترب او يصبو بمعنى جديد يضمه ما يحمل من افكار اصلاحية . - يبدو انه لا يستطيع ان يضرب عن كتابة القصة اضرابا متصلا .

- للبحث بقية -

علي جواد الطاهر

بغداد

- ٤٢ - الاستقلال ، العدد ١٠٩٥ ، ٥ تموز ١٩٢٧ .
٤٣ - الاستقلال ، العدد ١١٠٠ ، ١٢ تموز ١٩٢٧ .

- ٣٩ - الاضبارة .
٤٠ - المرص ، العدد الثاني ، كانون الاول ١٩٢٦ .
٤١ - المرص ، العدد الثالث ، كانون الثاني ١٩٢٧ .

دار الآداب تقدم

قصة المقاومة الفيتنامية

كَمَا يَرُوهَا أَبطالُهَا

يعتبر نضال الشعب الفيتنامي لتحرير ارضه من اطول ما عرف التاريخ الحديث من مقاومة وصبود. وهذا الكتاب الهام الذي تقدمه للقراء العرب ، في هذه الفترة التي تحتشد فيها الطاقات العربية كلها لمقاومة العدوان الصهيوني وتحرير الارض العربية في فلسطين ، يحمل مثالا وعبرة وفائدة عظيمة ، لا سيما وان مؤلفيه هم انفسهم من ابطال المقاومة الفيتنامية على رأسهم الجنرال فونيفون جياب قائد المقاومة الفيتنامية سابقا ووزير الدفاع في فيتنام حاليا . والمؤلفون يروون بأسلوب شيق طريف ذكريات اعمالهم السياسية والحربية في سايفون وهانوي واعوام الاسر والسجن والتعذيب ، والاحتلال الياباني وقيام حروب العصابات في حقول الارز والغابات الكثيفة ، حتى تعبئة الشعب كله في ربيع عام ١٩٤٥ وانشاء جمهورية فيتنام الديمقراطية في هانوي .

وخلال هذه القصة يبرز وجه مدهش عجيب : هو وجه ذلك المناضل الشاب ، والمثقف الانساني ، والثائر الذي لا يلين : « العم هو » الذي سيصبح فيما بعد الرئيس هو شي منه . . . والفصل الاخير في الكتاب يتحدث عن المقاومة البطولية الرائعة التي ما يزال شعب الفيتنام يخوضها بقيادة جبهة التحرير الوطنية حتى ايماننا هذه ضد الاحتلال الاميركي وعملائه في فيتنام الجنوبية .

صدر حديثا

الثمن ٣٠٠ ق . ل